خطبة صلاة الجمعة 3/ 3/ 2023 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(مفهوم النجاح والفلاح)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا﴾ [الفجر: 15-17] قال المفسرون: (ردَّ الله على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة، فأخبر أن الإكرام بطاعته والإهانة بمعصيته). فصححت الآية مفهوماً خطأ.

أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»**.

وفي رواية قال: **«فما تعدُّون المفلس فيكم؟»** قلنا: من لا مال له، قال: **«ليس بذلك، ولكنه الذي يأتي يوم القيامة بحسنات، ويأتي قد ظَلَم هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، وليس هناك دينارٌ ولا درهمٌ، فيعطَوْن من حسناته ولا يَفي، فيؤخذ من سيئاتهم فيطرح عليه»**.

ففي الحديث توضيح وتصحيح نبوي لمفهومي الصرعة والمفلس.

وفي القرآن والسنة من أمثال هذا في تصحيح المفاهيم كثير.

أيها الإخوة:

التصورات توجه التصرفات، والمفاهيم تؤثر في الحركات والسكنات.

فتصورات الإنسان ومفاهيمه تنعكس في حياته سلوكاً وسكوناً، وأعمالا وأقوالاً، وعطاءً ومنعاً.

فمن تصور المعنى الحقيقي للذهب حافظ عليه وضن به، بينما من تصور أن الذهب معدنٌ خسيس فرط فيه وضيعه؛ فالتصورات توجه التصرفات، والمفاهيم تؤثر في الحركات والسكنات.

هذه الخطبة السابعة من سلسلة خطب عنوانها: (مفاهيم تحتاج إلى تصحيح) جاءت لتصحيح مفاهيمنا لبعض المصطلحات الشرعية والحياتية، والمأمول ممن صح تصوره أن يصح تصرفه. والله الموفق.

عنوان خطبة اليوم: **مفهوم النجاح والفلاح**

نجح راجي في كليته وتخرّج بمعدلٍ جيد، واستطاع بعد عدة مراسلات الحصول على منحة دراسية في بلد غربي عاد منها باختصاص عالٍ، ليدرِّس في الجامعة، ولكنه مع كل هذا لم يكن يحسن التواصل مع أرحامه وزملائه وطلابه لأنه يعتقد لنفسه منزلة فوقهم ومكانة أعلى منهم، الأمر الذي دعاه لقطيعتهم ودعاهم لترك التعامل معه إلا مضطرين.

ترى هل نجاح راجي في دراسته أورثه نجاحاً حياتياً وفلاحاً، ما المفهوم الصحيح للنجاح والفلاح؟

بعد جهد كبير ومحاولات متعددة نجح وليد بالحصول مع زوجه وولديه على إقامة في بلد أوربي ثم نجحوا بنيل الجنسية، لقد تحصل هناك على دخل جيد ورعاية صحية فائقة ومدارس فارهة، ولكن أحد الولدين للأسف عند اشتداد عوده هجر بيت والديه، وانسلخ عن دينهما وأعرافهما، بينما سقط الآخر في مستنقع الرذيلة.

ترى هل نجاح وليد وأسرته بنيل ما يطلبون من الإقامة والجنسية، أورثهم نجاحاً حياتياً وفلاحاً، ما المفهوم الصحيح للنجاح والفلاح؟

تُظهِر بعض الأقنية الفضائية واحداً من الرياضيين الذين حققوا أرقاماً قياسية في اللعب؛ بطلاً عالمياً، وتبرزه مثالاً للنجاح، وتخبر عن المبالغ المالية العالية التي يتقاضاها وعن الهدايا الثمينة جداً التي تُقدَّم له، مع العلم أن هذا الرياضي عينَه يتعاطى المخدرات ويعرف الناس جميعاً ذلك عنه.

ترى هل صحيح أن مثل هذا الرجل مثال للنجاح، وهل هذا هو ما يطمح له الجيل في دنياه وآخرته، ما المفهوم الصحيح للنجاح والفلاح؟

أيها الإخوة:

بين النجاح والفلاح فرق في اللغة والواقع، فالنجاح هو الظفر بالشيء، والظفر بالشيء قد يسعد المرء وقد يشقيه، فكم ممن نجح بنيل منصب وظيفي رفيع فأتعبه منصبه وأرهقه وكان سبب شقاء لا

سعادة، وكم ممن نجح بتحصيل مال بعد فقر فلم ينل بماله ما تمنى بل كان ماله سبب بلاء نزل عليه فتمنى لو لم يملك ما ملك، فالنجاح الذي هو الظفر بالشيء قد يسعد المرء وقد يشقيه.

أما الفلاح فهو الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير.

ثم إن النجاح يكون مجزوءاً فإذا اكتمل صار فلاحاً، فمن نجح في دراسته وأخفق في علاقته الأسرية، ومن نجح في تخصصه وأهمل عبادته، ومن نجح في دنياه وضيَّع آخرته، ومن نجح في معاشه ونسي معاده، كل هؤلاء نجحوا ولم يفلحوا، ولا يكون المفلح مفلحاً إلا إذا جمع خيوط النجاح إلى بعضها.

ومن لطائف القرآن الكريم أنه لم يذكر مفردة النجاح، بل أكثر من ذكر مفردة الفلاح فجاء الحديث عن الفلاح واشتقاقاته في أربعين موضعاً في القرآن الكريم.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: 14] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 189] ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69] ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45] ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: 67] ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس: 77] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: 69].

فمراد القرآن والإسلام الدعوةُ إلى الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير، للأفراد والأسر والمجتمعات، وهذا هو الفلاح.

وأول ما افتتح القرآن الكريم كلامَه في سورة البقرة تصريحُه بأنه داعٍ إلا الفلاح الذي هو النجاح الكامل ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 1-5].

أيها الإخوة:

إذا اجتمعت في المرء أربعة أنواع من النجاح كان من المفلحين: من نجح في علاقته مع ربه، ونجح في علاقته مع أسرته وبني جلدته، ونجح في علاقته مع علمه وعمله، ونجح في علاقته مع ذاته.

وإنها دعوة لكل منا أن يسعى لتحصيل هذه الأربعة.

– **أما نجاحك في علاقتك مع ربك**: فبامتثال أمره واجتناب نهيه، يراك حيث أمرك ويفتقدك حيث نهاك، تؤمن به وتلتزم أمره، وإذا زلت القدم عدت إليه معتذراً ومن ذنبك مستغفراً، ما فرض فرضناه وما استحب استحببناه وما أباح أبحناه وما كره كرهناه وما حرم حرمناه.

وإلا فإن من ربح الخلق وخسر الخالق فما ربحُه؟! ومن حاز الدنيا وأضاع الآخرة فما فوزُه؟ إنه لا يفلح الكافرون، إنه لا يفلح الظالمون.

قال ابن عطاء الله السكندري في المناجاة: إلهي ماذا وجد من فقدك، وماذا فقد من وجدك.

– **وأما نجاحك مع أسرتك وبني جلدتك**: فبالبر والصلة والإحسان إليهم، فبر الوالدين عنوان التوفيق، وبر الأبناء رحمة وألفة، وصلة الأرحام تعمر الديار وتزيد في الأعمار، ورحمتُك الناس سبب لرحمة رب الناس، والوصف الذي تعامل به الخلق يعاملك به الحق، ولن تكون من المفلحين حتى يصل إحسانك إلى أبويك وولديك ورحِمك وما استطعت من بني جلدتك.

– **وأما نجاحك في علاقتك مع علمك وعملك**: فعنوان هذا الدين بعد الإيمان العلم النافع والعمل الصالح، وتقوى الله التي تسمعون عنها ما تسمعون ما هي إلا علم وعمل، أن تتعلم ما ينفعك وينفع الخلق ثم أن تعمل بما ينفعك وينفع الخلق، ولا يحب الإسلام الخلود الركون إلى الجهل ولا الخلود إلى الكسل ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: 55] «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل**» [البخاري].

فكلٌ منا كبيراً كان أو صغيراً، ذكراً أو أنثى مطلوبٌ منه أن يجتهد في فرعه العلمي الذي انتمى إليه ويضمَّ إليه ما يحتاجه من علوم الشريعة، وكل منا مطلوب إليه أن يجتهد في العمل الذي اختاره ويضمَ إليه ما استطاع من الأعمال الصالحات، ليكون من المفلحين.

– **وأما نجاحك في علاقتك مع ذاتك**: فبأن تعتني بصحتك الجسدية والنفسية والروحية، بناءً ووقايةً وعلاجاً، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: 31] «**وإن لنفسك عليك حقاً**» [أبو داود]، و«**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير**» [مسلم].

فإذا نجحت في علاقتك مع ربك، ونجحت في علاقتك مع أسرتك وبني جلدتك، ونجحت في علاقتك مع علمك وعملك، ونجحت في علاقتك مع ذاتك، فقد استكملت أسباب الفلاح وكنت من المفلحين.

بناء على كل ما سبق نقول لراجي: إن نجاحك في تحصيلك الجامعي وإخفاقك في علاقتك مع أهلك وبني جلدتك لا يعطيك فلاحاً، وقل مثل ذلك لوليد فصحيح أنك حصلت أرقاماً مالية مناسبة لك ولأسرتك ولكنك بتضييع دينهم وانتمائهم لعائلتهم أضعت نفسك وأضعتهم، وننصح الفضائيات ألا تعرض النجاح المبتور فما كان لمدمن المعصية المصرِّ عليها أن يكون قدوة للجيل ولو نجح ما نجح في أنواع الرياضات.

أيها الإخوة:

خلاصة الخطبة في هذه الكلمات:

1- النجاح هو الظفر بالشيء، والظفر بالشيء قد يسعد المرء وقد يشقيه، والنجاح يكون مجزوءاً فإذا اكتمل صار فلاحاً.

2- الفلاح هو الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير.

3- لم يذكر القرآن الكريم مفردة النجاح، بل أكثر من ذكر الفلاح فجاء في أربعين موضعاً فيه ليُعلِم الخلق أنه داعية إلى فلاحهم في الدارين.

4- إذا اجتمعت في المرء أربعة أصناف من النجاح كان من المفلحين: النجاح في علاقته مع ربه، والنجاح في علاقته مع أسرته وبني جلدته، والنجاح في علاقته مع علمه وعمله، والنجاح في علاقته مع ذاته.

أيها الإخوة:

التصورات توجه التصرفات، والمفاهيم تؤثر في الحركات والسكنات، ولهذا جاءت سلسلة مفاهيم تحتاج إلى تصحيح، وهذه الخطبة تحدثت عن مفهوم النجاح والفلاح، والمأمول ممن صح تصوره أن يصح تصرفه. والله الموفق.

والحمد لله رب العالمين